

لك وكما الله نفسه يحيي أهل السلام بالسلام: ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾^(١)
﴿سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢) ﴿سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(٣) ﴿سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾^(٤)
وعلى الجملة ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾^(٥) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٧﴾^(٦) و﴿سَلَّمَ
عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(٧) ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾^(٨) ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
وَسَلَّمَ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾^(٩) ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾^(١٠).

ذلك، وكما وأن داره دار السلام: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ
وَلِيَّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١١) - ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾^(١٢).

وكل تحيات الرسل والنبیین والصالحين سلام: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا
إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَّمَ﴾^(١٣).

ذلك! فالتحية بما لم يحيي به الله محظورة، وتحيته تعالى فقط هي
محبورة مشكورة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجَوُّى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ
بِالْأَيْمِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصَيْتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ...﴾^(١٤).
فإنها تنديدة شديدة بهؤلاء العصاة البغاة المنافقين.

إذاً فالتحية اللفظية بدايةً وإجابةً هي السلام، بفارق الرجاحة في الإجابة
أن تكون أحسن منها بدايةً إلا ألا يجد أحسن منها^(١٤) ومن الأحسن منها
لفظية أن يسلم جواباً عن حياك الله حيث الأحسن تعم اللفظ والمعنى، بل

- | | |
|--------------------------------------|--|
| (١) سورة الصافات، الآية: ٧٩. | (٨) سورة النمل، الآية: ٥٩. |
| (٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٩. | (٩) سورة يس، الآية: ٥٨. |
| (٣) سورة الصافات، الآية: ١٢٠. | (١٠) سورة الأنعام، الآية: ١٢٧. |
| (٤) سورة الصافات، الآية: ١٣٠. | (١١) سورة يونس، الآية: ٢٥. |
| (٥) سورة الصافات، الآيتان: ١٨١، ١٨٢. | (١٢) سورة هود، الآية: ٦٩. |
| (٦) سورة الرعد، الآية: ٢٤. | (١٣) سورة المجادلة، الآية: ٨. |
| (٧) سورة طه، الآية: ٤٧. | (١٤) الدر المشثور ٢: ١٨٨ بسند حسن عن = |

وكيفية السّلام وحالته^(١) فأقل الواجب هو ردّ التحية نفسها، ثم الأحسن منها في مثلث اللفظ والمعنى والحالة، ومنها إضافة المصافحة والمعانقة^(٢) إلى أصل التحية وكما كانت سيرة النبي ﷺ وأئمة الهدى ﷺ.

وكما الأحسن منها إجابةً فضيلةً، كذلك نفس التحية البائدة^(٣) فهما إذاً درجات.

= سلمان الفارسي قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السّلام عليك يا رسول الله ﷺ فقال: وعليك السّلام ورحمة الله ثم أتى آخر فقال: السّلام عليك يا رسول الله ورحمة الله فقال: وعليك السّلام ورحمة الله وبركاته ثم جاء آخر فقال: السّلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال: وعليك السّلام ورحمة الله وبركاته فقال له الرجل: بأبي أنت وأمي أذاك فلان وفلان فسألما عليك فرددت عليهما أكثر مما رددت علي فقال: إنك لم تدع لنا شيئاً قال الله: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّاتٍ فَجِوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] فرددناها.

(١) المصدر عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: إن من الصدقة أن تسلّم على الناس وأنت منطلق الوجه.

(٢) نور الثقلين ١: ٥٢٥ عن أبي عبد الله ﷺ قال: إن من تمام التحية للمقيم المصافحة وتمام التسليم على المسافر المعانقة.

(٣) المصدر أخرج البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة أن رجلاً مرّ على رسول الله ﷺ وهو في مجلس فقال: سلام عليكم فقال ﷺ: «عشر حسنات، فمر رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله فقال: عشرون حسنة فمرّ رجل آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال: ثلاثون حسنة» أقول: وفي نور الثقلين ١: ٥٢٥ عن الصادق ﷺ مثله في درجات السّلام.

أقول: فلا أحسن من «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» اللهم إلا زيادة ألفاظ لا دور لها في الحسن، وقد استفاد ذلك الحدّ من ﴿أَهَيْطُ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾ [هود: ٤٨] و﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَرَكَّبْتُهُمْ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣] وحاصل جمعها هو التحية الكاملة التي لا أكمل منها وإضافة «غفرانه» فيما رواه عنه ﷺ الجهني أنه قال: أربعون قد لا تعني إضافة فإن مغفرته من رحمته وبركاته، وقد يروى عن أبي جعفر ﷺ قال: مرّ أمير المؤمنين ﷺ بقوم فسلم عليهم فقالوا: عليك السّلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه، فقال لهم أمير المؤمنين ﷺ: لا تتجاوزوا بنا مثل ما قالت الملائكة لأبينا إبراهيم، إنما قالوا: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت.

وهنا تساؤلات عدة حول سنة السلام وفرض رده، بإجاباتها على ضوء القرآن والسنة.

١ - هل يجب أو يجوز رد السلام على غير المسلم، أم يختص بالمسلم؟

«حيثم» بصيغة الغياب تغيب خصوص المسلم عن دوره الخاص وتعمم فرض الرد على كل تحية، فما صدقت «تحية» - أيًا كان المحيّي والتحية ما لم تكن مرفوضة - وجب الرد حسب النص، كواجب المبادلة بين الآداب، فإذا لم يتأدب المسلم بأدب يبدأ به غير المسلم كان ذلك مزرأة على الإسلام وإبعاداً لغير المسلم عن التقرب إلى حظيرة الإسلام، ولقد كانت الآداب والأخلاق الإنسانية والإسلامية السامية هي التي تجلب الناس إلى الإسلام بفعل النبي ﷺ والذين آمنوا معه.

ذلك وكما نسمع ربنا يأمر بالسلام على الجاهلين فضلاً عن الرد عليهم: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١) - ﴿وَإِذَا سَكَعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنَعِي الْجَاهِلِينَ﴾^(٢).

ذلك وحتى بالنسبة للذين لا يؤمنون فضلاً عن يرحى إيمانه: ﴿وَقِيلِهِ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣) ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٤).

وكذلك بالنسبة للمشركين كما قال إبراهيم لأبيه آزر: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾^(٥).

ولم تُنسخ في القرآن سنة السلام بداية ورداً على غير المسلمين، مهما

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٥.

(٣) سورة الزخرف، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

(٤) سورة مريم، الآية: ٤٧.

حرض عليه بالنسبة للمسلمين: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ (١) - ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى﴾ (٢) - ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ (٣)، وليس هذا إلا اختصاص الفضيلة دون أصل السنة بدءاً ورداً.

ولا محذور معنوياً في أدب الشريعة الربانية في السلام على غير أهل الإسلام، فإخباره إنباء أنه ليس منا عليكم إلا السلام، دعوة إلى السلام هنا وإلى دار السلام، ف«إن الله جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا» (٤) والأخبار الناهية عن السلام على غير أهل الإسلام مطروحة بمخالفة القرآن أو مؤولة إلى المحاربيين (٥).

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٧.

(٣) سورة النمل، الآية: ٥٩.

(٤) الدر المنثور ٢: ١٨٩ - أخرج الطبراني والبيهقي عن أبي أمامة سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله . . .

(٥) نور الثقلين ١: ٥٢٦ كخبر غياث بن إبراهيم عن أبي عبد الله ﷺ قال قال أمير المؤمنين ﷺ: «لا تبدؤوا أهل الكتاب بالتسليم وإذا سلموا عليكم فقولوا: وعليكم» وخبر سماعة قال سألت أبا عبد الله ﷺ عن اليهودي والنصراني والمشرک إذا سلموا على الرجل وهو جالس كيف ينبغي أن يرد عليهم؟ فقال: يقول: عليكم» وعن أبان بن عثمان عن زارة عن أبي عبد الله ﷺ قال: تقول في الرد على اليهود والنصراني: سلام، وفيه في كتاب الخصال عن جعفر بن محمد عن أبيه ﷺ قال: لا تسلّموا على اليهود ولا على النصراني ولا على المجوس ولا على عبدة الأوثان ولا على موائد شراب الخمر ولا على صاحب الشطرنج والنرد ولا على المخنث ولا على الشاعر الذي يقذف المحصنات ولا على المصلي ذلك لأن المصلي لا يستطيع أن يرد السلام لأن التسليم من المسلم تطوع والرد فريضة، ولا على آكل الربا ولا على رجل جالس على غائط ولا على الذي في الحمام ولا على الفاسق المعلى بفسقه».

أقول: الجمع هنا بين مقطوع الحل من السلام ومشكوكه مما يدلنا على عدم الحرمة فيها ككل.

ذلك، ثم ودعاؤه استدعاء السلام عليهم من الله أن يهديهم ويغفر لهم، إنما مورده من لم يتبين أنه عدو لله ومن أصحاب الجحيم ف: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ... ﴿١﴾.

فمن تبين لك أنه عدو لله وفي النهاية هو من أصحاب الجحيم لم تسلّم عليه سلام الدعاء الاستغفار، وأما سائر السلام بداية ورداً فلا محذور، بل هو فرض محبور مشكور، اتّباعاً لعموم النص واتباعاً للأدب الإسلامي السامي، اللهم إلا بالنسبة للمحارب حيث السلام عليه إخباراً كذب وهو دعاء استغفار، وذلك خلاف السنة الإسلامية، اللهم إلا على المحارب غير المتأكد كونه من أصحاب الجحيم.

وعليه تُحمل الأحاديث الناهية، فإن طليق آيات الجواز سلاماً على الكفار ورداً عليهم يطلق الجواز إلا فيما يستثنى بدليل الكتاب.

ف — ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾ (٢) ومن بسيط البر ووسيطه السلام وسائر التحيات بداية ورداً.

ثم التحية الممنوعة بالنسبة لهؤلاء المحاربين - أيضاً - ليست محظورة إلا ما كانت تولىً وموادّة ومحابة وخلاف القضية المأمور بها والمنهي عنها بالنسبة لهم، ف: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١١٣، ١١٤.

(٢) سورة الممتحنة، الآيتان: ٨، ٩.

وَرَسُولُهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولِيَّكَ
كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ... ﴿١﴾ .

٢ - هل يُكتفى بـ «عليكم السلام» إذا كان في السلام مزيد عليه
كـ «ورحمة الله»؟ كلاً! فإن أقلّ الفرض في الرد «أوردوها» وهو رد المثل،
والفضل في ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ .

٣ - وهل يجب رد مجرد «السلام» دون «عليكم» إذ جرد البدء عنه؟
طبعاً نعم لأنه تحية مقدرة المتعلق .

٤ - وترى المسلم أولى بالله أو الراد ولا سيما بأحسن منه؟ طبعاً
البادئ في كل خير أولى مهما كان بدؤه سنة والرد فريضة فـ «من بدأ بالسلام
فهو أولى بالله ورسوله» (٢) وقد كانت من سنته ﷺ البدء بالسلام .

٥ - ومن هو الأولى ببدء السلام إضافة إلى كل أولى؟

يقول رسول السلام ﷺ : «يسلم الراكب على الماشي والماشي على
القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير وإذا مر بالقوم فسلم منهم
واحد أجزاء عنهم وإذا رد من الآخرين واحد أجزاء عنهم» (٣) .

٦ - ما صدقت عليه «تحية» لفظية أم كتبية، أو عملية: مالية وسواها،

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢ .

(٢) الدر المنثور ٢: ١٨٩ - أخرج الحكيم الترمذي عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ : . . .
وفيه أخرج البيهقي عن الحارث بن شريح أن رسول الله ﷺ قال: إن المسلم أخو المسلم إذا
لقبه ردّ عليه من السلام بمثل ما حيّاه به أو أحسن من ذلك، وإذا استأمره نصح له وإذا استنصره
على الأعداء نصره وإذا استنعته قصد السبيل يسّره ونعت له وإذا استغاره أحد على العدو أغاره
وإذا استعاره الحدّ على المسلم لم يعره وإذا استعاره الجنة أعاره، لا يمنع الماعون، قالوا يا
رسول الله ﷺ : وما الماعون؟ قال: في الحجر والماء والحديد، قالوا: وأي الحديد؟
قال: قدر النحاس وحديد الفاس الذي تمتنون به قالوا: فما هذا الحجر؟ قال: القدر من
الحجارة .

(٣) المصدر أخرج البيهقي عن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ قال: . . .

يجب ردها أو الأحسن منها، اللهم إلا التي لا يستطيع المحيى عليه ردها كالهدايا المالية أو العملية، فلا يجب ردها إلا قدر المستطاع، فمن يحييك بهدية مالية وأنت لا تستطيع ردها، فبقدر المستطاع، أم عليك أن تبدل الهدية بمثلها وهو مستطاع لكل أحد إذ لا يكلفه الرد إلا ذلك التبديل ببديل، اللهم إلا المخرج أو الشاق المعسر، أو الفقير المدقع المحتاج إلى هذه الهدية ف ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١).

٧ - رد السّلام فرض على الفور ما صدق الرد الأديب لمكان «فحيوا» فإن أحر أثم ووجب فوراً ففوراً والاعتذار عن التأخير، فإن فيه إساءة أدب بمن حياك.

٨ - يجب إسماع الرد ما استطاع له سبيلاً وبأية سبيلاً ممكنة غير مخرجة ولا مخرجة عن المتعود في رد التحية.

٩ - رد السّلام واجب على أية حال وإن كان في الصلاة ولكنه يقتصر على رده دون زيادة على الأشبه، ناوياً به الدعاء دون الإخبار، تجنباً عن الزيادة في الصلاة إلا قدر الواجب غير المنافي للصلاة، وقد تختص ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ بغير الصلاة التي لا يجوز فيها الكلام إلا بذكر الله والدعاء، ورد السّلام دعاءً يجمعهما، نعم إذا حياك بـ «حياك الله» فليس الإجابة كماهيه، إنما هي السّلام عليكم وهي أحسن منها فإن ردها بنفس الصيغة محذور على أية حال فضلاً عن الصلاة التي هي خير موضوع!

١٠ - يجب الرد باللغة المفهومة للمسلم، فإن لم يعرفها رد بما يفهمه أنه ردٌ بقربنة وأية إشارة أخرى تجعل رده رداً أديباً للتحية.

١١ - لا يجوز السّلام على الله فإنه لغو دعاءً وإنباءً، ومس من كرامة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

الربوبية، وإنما السّلام «على» مجالُه مَنْ سِوَى اللَّهِ إِلَّا مَنْ اسْتَشْنَا، وهو «من» طليق يشمل الله وخلقه، ولكنه من الله إخباراً، حيث الدعاء منه مستحيل، اللّهمّ إلّا إذا أول بموقف الدعاء، ولا موقف له للمدعوّ، فهو - إذاً - من الله غير دعاء.

ثمّ التّحيات الإسلاميّة السليمة هي إضافة إلى الأدب الصالح، توثق علاقات المودة والقربى بين المؤمنين، وكذلك بينهم وبين من سواهم تأليفاً لقلوبهم إلى الإيمان.

ذلك، فضلاً عن الأخوة في الإيمان الذين نزع الشيطان بينهم، فإن السّلام يبزغ على نزع الشيطان وينزعه مما بينهم تجديداً لجديد الألفة الإيمانية، ولذلك يعتبره رسول السّلام من خير الأعمال، فقد سئل ﷺ أي العمل خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السّلام على من عرفت ومن لم تعرف^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ تحية ورداً لها مثلها أو أحسن منها أماذا من أشياء الأعمال والأحوال والأقوال، فلا يفلت عن حسابه شيء في كونه وكيانه.

وقد يعني ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّهَا﴾ كلّ حسن في قالة أو حالة أو فعالة، فمن يسلم عليك ببشاشة وجه فعليك ردها بنفس البشاشة أو أحسن منها، فليراع في الردّ الحسن كما وكيفاً، قالاً وحالاً وأعمالاً.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (٨٧):

﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ كلّ المكلفين ومنافقين وكافرين ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فإنه يوم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.

الجمع العام، دون البرزخ أو الدنيا للذين لكل منهما دوره الخاص بأصحابه الخصوص.

وهنا الجمع «إلى» دون الجمع «في» رغم أنه ظرف الجمع، للتدليل على أنه منتهى الجمع الشامل دون الناشئين الأوليين.

فجمع المكلفين يجمعون ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وليوم الجمع القيامة: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (١) ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ (٢).

وذلك الجمع الجامع ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ولا شبهة تعتريه في كلِّ الحقول العقلية والواقعية والمصلحية أماهيه، ثم ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ وهو المحدث مراراً وتكراراً عن حديث الجمع يوم الجمع.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتْلِفِينَ فَتْمَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (٣)

هذه وآيات بعدها تختص ﴿الْمُتْلِفِينَ﴾ بفرقة منهم خاصة تجب قتالهم كما الكافرين أو هي أشد، حيث كانوا يؤلبون على رسول الله ﷺ ويؤذونه حتى قام خطيباً فقال: «من لي بمن يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني» (٣).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٥.

(٢) سورة التغابن، الآية: ٩.

(٣) الدر المنثور ٢: ١٩٠ عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد فرجع ناس خرجوا معه فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم وفرقة تقول: لا فأنزل ﴿فَمَا لَكُمْ...﴾ [النساء: ٨٨] فقال رسول الله ﷺ: إنها طيبة تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة.

وفيه عن ابن معاذ الأنصاري أن هذه الآية نزلت فينا، خطب رسول الله ﷺ الناس فقال: من لي بمن يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني فقام سعد بن معاذ فقال: إن كان منا يا رسول الله ﷺ قتلناه وإن كان إخواننا من الخزرج أمرتنا فأطعناك فقام سعد بن عبادة فقال: ما بك يا بن معاذ طاعة رسول الله ﷺ ولكن عرفت ما هو منك فقام أسيد بن حضير فقال: =

ذلك! سواء منهم من تخلف عن رسول الله ﷺ ولم يهاجر معه ولا بعده وتعامل مع المشركين ضده^(١). أمن كتب إليه من مكة أنهم أسلموا وكان ذلك منهم كذباً^(٢) أمن أتوه بالمدينة فأسلموا ومكثوا معه ما شاء الله ثم

= إنك يابن عباد منافق تحب المنافقين فقام محمد بن مسلم فقال: اسكتوا أيها الناس فإن فينا رسول الله ﷺ وهو يأمرنا فننفذ لأمره فأنزل الله ﴿فَمَا لَكُمْ...﴾.

وفيه عن ابن عباس قال: إن قوماً كانوا بمكة قد تكلموا بالإسلام وكانوا يظهرون المشركين فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم فقالوا: إن لقينا أصحاب محمد فليس علينا فيهم بأس وإن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة قالت فئة من المؤمنين اركبوا إلى الخبيثاء فاقتلوهم فإنهم يظهرون عليكم عدوكم وقالت فئة أخرى من المؤمنين: سبحان الله أتقتلون قوماً قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من أجل أنهم لم يهاجروا ويتركوا ديارهم تستحل دماءهم وأموالهم فكانوا كذلك ففتين والرسول عندهم لا ينهي واحداً من الفريقين عن شيء فنزلت ﴿فَمَا لَكُمْ - إلى قوله - حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٨٨، ٨٩] يقول: حتى يصنعوا كما صنعتم فإن تولوا قال: عن الهجرة وفيه أخرج أحمد بسند فيه انقطاع عن عبد الرحمن بن عوف أن قوماً من العرب أتوا رسول الله ﷺ بالمدينة فأسلموا وأصابهم وباء بالمدينة حماها فأركسوا خرجوا من المدينة فاستقبلهم نفر من الصحابة فقالوا لهم: ما لكم رجعتم قالوا: أصابنا وباء بالمدينة فقالوا: ما لكم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فقال بعضهم: نافقوا وقال بعضهم: لم ينافقوا إنهم مسلمون فأنزل الله الآية.

(١) المصدر عن مجاهد في الآية قال: قوم خرجوا من مكة حتى جاؤوا المدينة يزعمون أنهم مهاجرون ثم ارتدوا بعد ذلك فاستأذنوا النبي ﷺ إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فاختلف فيهم المؤمنون فقائل يقول: هم منافقون وقائل يقول: هم مؤمنون فبين الله نفاقهم فأمر بقتلهم فجاءوا ببضائعهم يريدون هلال بن عويمر الأسلمي وبينه بين محمد حلف وهو الذي حصر صدره أن يقاتل المؤمنين أو يقاتل قومه فدفع عنهم بأنهم يؤمنون هلالاً وبينه وبين النبي ﷺ عهد.

(٢) المصدر عن معمر بن راشد قال: بلغني أن ناساً من أهل مكة كتبوا إلى النبي ﷺ أنهم قد أسلموا وكان ذلك منهم كذباً فلقوهم فاختلف فيهم المسلمون فقالت طائفة: دماؤهم حلال وطائفة قالت: دماؤهم حرام فأنزل الله ﴿فَمَا لَكُمْ...﴾.

ومن طريق أصحابنا كما في المجمع عن الباقر عليه السلام نزلت في قوم قدموا إلى المدينة من مكة فأظهروا للمسلمين الإسلام ثم رجعوا إلى مكة لأنهم استوخموا المدينة فأظهروا الشرك ثم سافروا ببضائع المشركين إلى اليمامة فأراد المسلمون أن يغزوهم فاختلفوا فقال بعضهم لا نفعل فإنهم مؤمنون وقال آخرون: إنهم مشركون فأنزل الله فيهم هذه الآية.